

معنى الشهادة وشروط الانتفاع بالتوحيد



روضة محمد شويب

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 12/2/2022 ميلادي - 10/7/1443 هجري

الزيارات: 5097

معنى الشهادة وشروط الانتفاع بالتوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله أجمعين، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أما بعدُ:

فقد شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به الملائكة وأنبياؤه ورسله؛ قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران:18، 19][1].

تضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الضلال، فتضمنت أحب شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجلِّ شاهد لأجلِّ شهود.

وعبارات السلف في (شهد) تدور على الحكم والقضاء، والإعلام والبيان والإخبار، وهذه الأقوال كلها حق لا تنافيَ بينها، فإن الشهادة

- تتضمن كلام الشاهد وخبره:
- وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه، فلها أربع مراتب:

فأول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود وثبوته.

وثانيها: تكلُّمه بذلك وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم بها مع نفسه ويذكرها، وينطق بها أو يكتبها.

وثالثها: أن يُعلم غيره بها بما يشهد به ويخبره به ويبيّنه له.

ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع:

- علمه سبحانه بذلك.
- وتكلمه به.

- وإعلامه.
- وإخباره لخلقه به وأمرهم وإلزامهم به.

وفي حديث الشفاعة: ثم قال: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخِر له ساجدًا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقلْ تسمع وسلْ تُعطه، واشفع تشفَّع، فأقول: يا ربي، أتأذن فيمن قال لا إله إلا الله؟ فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي، لأُخرجن منها من قال لا إله إلا الله][2].

شروط الانتفاع بهذه الشهادة العظيمة:

النطق بالشهادتين:

فإن النطق بالشهادتين لا يصح إسلام المرء بدونه، إلا إذا عجز عن ذلك لعُذر كالأخرس، وذلك لِما ورد في كثير من الأحاديث؛ مما يدل على وجوب النطق بهما، ومنها ما رواه البخاري عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ الحديث.

وكذا رواه النسائي والدارمي، وفي رواية مسلم: فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.... وكذا رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة[3].

والمراد به أن المرء لا ينتفع بالشهادة حتى ينطق بها بلسانه، فإن كان كافرًا لا بد له من النطق بالشهادة؛ ليتثبت له وصف الإسلام، فمن لم ينطق بها مع القدرة عليها، لا يكون مسلمًا بالإجماع[4].

ومن كان مسلمًا، فلا بد أن ينطق بها بلسانه لينال الفضل المترتب عليها؛ لأنها نوع من الذكر اللساني، بل هي أعظمه، وكل أنواع الذكر اللساني لا يثبت إلا بالنطق والكلام.

وفي بيان هذا الشرط يقول النووي: اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة، ولا يخلد في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلًا إلا إذا عجز عن النطق لخللٍ في لسانه، أو لعدم التمكن منه، لمعاجلة المنية أو لغير ذلك، فإنه يكون مؤمنًا؛ شرح صحيح مسلم (١ / ١٤٩).

يقول ابن تيمية: "أما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة، فهو كافر باتفاق المسلمين؛ مجموع الفتاوي، (٧ / ٦٠٩).

ويدل على هذا الشرط جميع النصوص الشرعية التي فيها تعليق الانتفاع بالشهادة على القول، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 136].

وقوله صلى الله عليه وسلم:"أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله"؛ (البخاري ١٣٩٩ ومسلم ٣٠).

ويناقض هذا الشرط عدم النطق بالشهادة عند دخول الإسلام مع القدرة على ذلك، أو التفريط في الإكثار من نطقها باللسان، فالأول يناقض أصلها والثاني يناقض كمالها، وأول متعلق بالكافر الأصلي، والثاني متعلق بالمسلم.

العلم بالشهادة:

قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: 19].

وفي الصحيح: (مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنه لا إلَهَ إلا اللهُ، دَخَلَ الجَنة).

العلم بها، والمراد بها أن يكون المرء عالِمًا بالمع

---

[1] العقيدة الطحاوية تأليف الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي؛ تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنؤوط.

[2] تفسير اللغوي ص ١١٩، أخرجه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء ١٣ /٤٧٣، ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها، برقم ١٩٣، ١ /١٨٣-١٨٤.

[3] رقم الفتوى: 17454.

[4] المسلك الرشيد لشرح كتاب التوحيد، ص ٦١-٦٢؛ انظر: مجموع الفتاوي، ٧ / ٦٠٩، وانظر البخاري ١٣٩٩، ومسلم ٣٠.
